

من نواكر وطرائف الحرب

6

زَعِيمُ الطُّفِيلِينَ

بقلم : أ. عبد الحميد عبد القادر
بريشة : أ. عبد الشافي سعيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

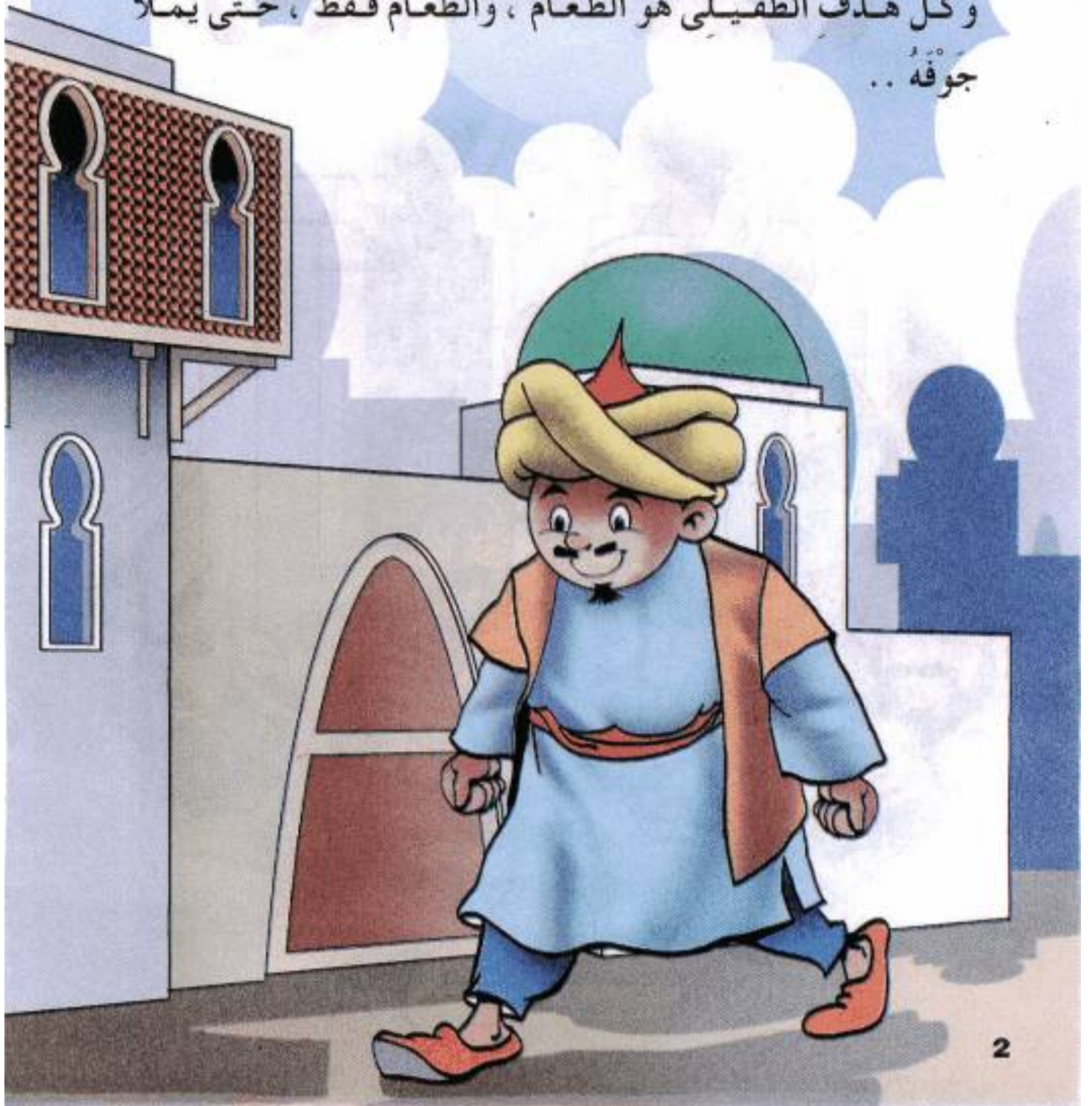


سليح وشتر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٦١١٩٧
فاكس : ٦٨٦٧٠١٢

كَلِمَةً طُفِيلِيٍّ أَوْ مُتَطَفِّلٍ ، تُطْلَقُ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي يَدْخُلُ
وَلِيْمَةً أَوْ يَذْهَبُ إِلَى مَادُّبَةٍ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا ، وَفِي الْغَالِبِ هُوَ
لَا يَعْرِفُ أَحَدًا ، أَوْ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَادُّبَةِ أَوْ الْوَلِيْمَةِ ، وَقَدْ
يَعْرِفُهُ أَصْحَابُ الْمَادُّبَةِ أَوْ الْوَلِيْمَةِ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوهُ إِلَيْهَا ..
وَكَلُّ هَدَفِ الطُّفِيلِيِّ هُوَ الطَّعَامُ ، وَالطَّعَامُ فَقَطْ ، حَتَّى يَمْلَأَ
جَوْفَهُ ..



وَالْكَلِمَةُ اشْتُقَّتْ مِنْ اسْمِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ «طَفِيلٌ» وَيُقَالُ : إِنَّهَا
جَاءَتْ مِنْ اسْمِ اشْتَهَرَ بِالتَّطْفُلِ يُدْعَى «بَنَانُ الطُّفَيْلِيِّ» وَهُوَ مِنْ
بُخْرَسَانَ ، وَقَدْ أَقَامَ فِتْرَةً مِنْ حَيَاتِهِ بِبَغْدَادٍ مُتَطَفِّلًا عَلَى مَوَائِدِ
أَهْلِهَا ..

وَتَارِيخُ الْعَرَبِ يَذْكُرُ لَنَا «أَشْعَبَ» بِاعْتِبَارِهِ أَشْهَرَ مُتَطَفِّلٍ فِي
التَّارِيخِ ، وَأَشْهَرَ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ النَّوَادِرُ وَالطَّرَائِفُ وَالْحِكَايَاتُ
فِي التَّطْفُلِ ..



وَأَشْعَبُ هَذَا هُوَ أَشْعَبُ بْنُ جَبْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ،
وَهُوَ خَالَ الْأَصْمَعِيِّ الْأَدِيبِ الْفَقِيهِ .. وَقَدْ اشتهر أَشْعَبُ
بِالظَّرْفِ وَخِفَةِ الرُّوحِ وَالْمَرَحِ ، وَلَهُ حِكَايَاتٌ وَنَوَادِرٌ طَرِيفَةٌ فِي
ذَلِكَ ..

وَلَكِنْ صَارَ أَشْعَبُ زَعِيمَ الطُّفْلِيِّينَ فِي زَمَانِهِ وَحَتَّى بَعْدَ زَمَانِهِ !
إِنَّ لَذَلِكَ قِصَّةً طَرِيفَةً ..

فَقَدْ جَاءَهُ ابْنُهُ ذَاتَ يَوْمٍ سَعِيدًا وَهُوَ يَصِيحُ :

- وَلَيْمَةَ يَا أَبِي .. وَلَيْمَةَ فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ مَا لَذٌّ وَطَابَ ..

وَدُونَ أَيْ تَفْكِيرٍ أَسْرَعَ أَشْعَبُ مَعَ ابْنِهِ إِلَى الدَّارِ الَّتِي تُقَامُ
فِيهَا الْوَلَيْمَةُ ، وَكُلُّ هَمِّهِ أَنْ يَسْبِقَ الْآخَرِينَ ، حَتَّى يَحْجِزَ
لِنَفْسِهِ مَكَانًا فِي صَدْرِ الْمَائِدَةِ ، فَتَكُونَ أَصْنَافُ الطَّعَامِ الْجَيِّدَةِ
فِي مُتَنَاوَلِ يَدِهِ ..

وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ ، كَانَ ذَكِيًّا فَطِنًا إِلَى حِيلِ
الطُّفْلِيِّينَ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَحْرِمَهُمْ مِنَ الْجُلُوسِ إِلَى مَأْدُبَتِهِ ، الَّتِي
تُقَامُ فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَلِذَلِكَ وَضَعَ سُلَّمًا خَشَبِيًّا يُؤْدِي إِلَى
سَطْحِ الْمَنْزِلِ ، وَكُلَّمَا رَأَى شَخْصًا لَا يَعْرِفُهُ أَشَارَ إِلَى السُّلَّمِ
قَائِلًا :



— اصْعِدْ يَا ضَيْفَى إِلَى حَيْثُ تَقَامُ الْوَلِيمَةُ ..

وَهَكَذَا صَعِدَ أَشْعَبُ وَابْنُهُ إِلَى سَطْحِ الدَّارِ ، وَتَوَالَى صُعُودُ بَقِيَّةِ
الطُّفَلِيِّينَ إِلَى السَّطْحِ .. ثُمَّ رَفَعَ الرَّجُلُ السَّلْمَ ، وَوَضَعَتِ
الْمَوَائِدُ لِلْمَدْعُوعِينَ ، مِنْ أَقَارِبِ الْعَرِيسِ وَالْعَرُوسِ ، فِي صَحْنِ
الدَّارِ وَعَلَيْهَا مَا لَذَّ وَطَابَ مِنْ أَصْنَافِ اللَّحُومِ وَالْأَسْمَاكِ وَالْحَلَوَى
وَالْفَاكِهَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَصْنَافِ ..



وَوَجَدَ أَشْعَبُ نَفْسَهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ وَمَجْمُوعَةُ الْمُتَطَفِّلِينَ
مَحْبُوسِينَ فَوْقَ السَّطْحِ ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الطَّعَامِ
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِسَبَبِ ارْتِفَاعِ السَّطْحِ ، فَتَمْلِكُهُمُ
الْغَيْظُ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ :

- وَاللَّهِ مَا لَأَقِينَا مِنَ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ مِثْلَ مَا لَأَقِينَا الْيَوْمَ عَلَى
يَدَيِ ذَلِكَ الْمَاكِرِ ، صَاحِبِ الْوَلِيمَةِ ..

وَقَالَ آخَرُ :

- لَقَدْ حَبَسْنَا هُنَا مِثْلَ الدَّجَاجِ ، فَلَا هُوَ تَرَكَنَا نُشَارِكُ فِي
طَعَامِهِ ، وَلَا هُوَ تَرَكَنَا نَتَطَفَّلُ عَلَى مَادِبَةِ غَيْرِهِ ..
فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ أَشْعَبُ ، وَقَالَ :

- مَا هِيَ صِنَاعَتُكُمْ فِي الْحَيَاةِ يَا إِخْوَانُ ؟ !

فَقَالُوا جَمِيعًا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ :

- نَحْنُ جَمِيعًا طُفْلِيُونَ ، وَلَا عَمَلَ لَنَا إِلَّا التَّطَفُّلُ ..

فَقَالَ أَشْعَبُ :

- خَيْبَكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا مِنْ طُفْلِيَيْنِ .. أَلَيْسَ عِنْدَ أَحَدِكُمْ حِيلَةٌ
لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ الَّذِي وَقَعْنَا فِيهِ ، وَحَبَسْنَا هَا هُنَا
كَالْجِرَذَانِ فِي الْمِصِيدَةِ ؟ !



فَقَالُوا جَمِيعًا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ :

- وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ حِيلَةً غَيْرَ التَّطَفُّلِ وَالتَّهَامِ الطَّعَامِ ..

فَقَالَ أَشْعَبُ :

- وَإِذَا احْتَلَّتْ لَكُمْ بِحِيلَةٍ ؛ حَتَّى تَنْزِلُوا وَتَأْكُلُوا مَعَ مَنْ يَأْكُلُونَ ؟ !

فَنَظَرَ الطُّفَيْلِيُّونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ مَا يَسْمَعُونَ ..

ثُمَّ قَالُوا جَمِيعًا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ :

- نَقِرُّ لَكَ بِأَنَّكَ زَعِيمُنَا وَرَائِدُنَا وَقَائِدُنَا فِي التَّطَفُّلِ ..



فَقَالَ أَشْعَبُ :

- طَالَمَا أَنْكُمْ تُقَرُّونَ بِزَعَامَتِي لَكُمْ ، فَسَوْفَ أَحْتَالُ لِإِطْعَامِكُمْ ..

فَنَظَرُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ :

- وَلَكِنْ مَنْ تَكُونُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ !

فَقَالَ أَشْعَبُ :

- أَنَا أَشْعَبُ أَيُّهَا الْحَمَقَى ..

فَقَالُوا جَمِيعًا :

- قَدْ أَقَرَرْنَا بِزَعَامَتِكَ ، حَتَّى تَقْبَلَ أَنْ تَحْتَالَ لَنَا ..

فَأَظَلَّ أَشْعَبُ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ، حَيْثُ صَاحِبُ الدَّارِ وَضِئُوفُهُ

يَأْكُلُونَ غَيْرَ عَابِثِينَ بِالطُّفَيْلِينَ ، وَصَاح :





.. يَا صَاحِبَ الدَّارِ ..

فَرَفَعَ صَاحِبُ الدَّارِ نَظْرَهُ إِلَيْهِ قَائِلًا :

.. مَا بَكَ يَا هَذَا ؟ !

فَقَالَ أَشْعَبُ :

.. أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْنَا بِمَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ عَامِرَةٍ فَنَأْكُلَ
وَنَنْزِلَ بِسَلَامٍ ، أَوْ أَرْمَى بِنَفْسِي مِنْ هَذَا الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ ، فَأَمُوتَ
وَيَخْرُجَ مِنْ دَارِكَ قَتِيلٌ وَيَتَحَوَّلَ عُرْسُكَ وَفَرَحُكَ إِلَى مَاتَمٍ ؟



وَأَخَذَ أَشْعَبُ يَتَصَنَّعُ أَنَّهُ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يُلْقَى نَفْسَهُ ، فَفَزَعَ
صَاحِبُ الدَّارِ ، وَأَخَذَ يَرْجُوهُ أَلَّا يَفْعَلَ ؛ حَتَّى لَا يَفْسِدَ الْفَرَحَ ..
وَلَمْ تَمْضِ دَقَائِقُ ، حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الدَّارِ مَائِدَةً
كَبِيرَةً عَلَيْهَا كُلُّ أَطَايِبِ الطَّعَامِ ..

وَانْقَضَ فَرِيقُ الطُّفْلَيْنِ عَلَى الطَّعَامِ ، كَالْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ ..
وَأَخَذَ ابْنُ أَشْعَبَ يَأْكُلُ بِضَعِ لُقِيمَاتٍ ، ثُمَّ يَشْرَبُ قَلِيلًا مِنَ
الْمَاءِ ..

انْتَحَى أَشْعَبُ بِابْنِهِ جَانِبًا ، وَلَطَمَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، قَائِلًا :
- لَوْ جَعَلْتَ مَكَانَ الْمَاءِ الَّذِي شَرِبْتَهُ لُقِيمَاتٍ لَكَانَ أَفْضَلَ ..
فَقَالَ الْابْنُ :

- إِنَّ الْمَاءَ يُوَسِّعُ مَكَانًا ، فَأَكُلُ أَكْثَرَ يَا أَبِي ..
فَعَادَ أَشْعَبُ إِلَى صَفْعِ ابْنِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَقُولُ :
- أَيُّهَا اللَّئِيمُ ، لِمَ لَمْ تُنَبِّهْنِي إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، قَبْلَ جُلُوسِنَا
إِلَى الطَّعَامِ ؟ !

وَهَكَذَا صَارَ أَشْعَبُ زَعِيمَ الطُّفْلَيْنِ بِلَا مُنَافِسٍ ..
وَكَانَ نَهْمُ أَشْعَبَ ، وَعِشْقُهُ لِلطَّعَامِ عَجَبًا ، فَلَمْ يَتْرُكْ

وَلِيْمَةٌ أَوْ مَادِبَةٌ إِلَّا أَكَلَ فِيهَا ، طَالَمَا وَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ ، فَإِنْ لَمْ
تَوَاتِهِ احْتَالَ لَذَلِكَ ..

وَلَكِنْ جَاءَ يَوْمٌ عَلَى أَشْعَبَ ضَاقَ بِهِ الْحَالُ ، وَسُدَّتْ أَبْوَابُ
الْوَلَائِمِ فِي وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَعْذُ يَجِدْ أَحَدًا يَدْعُوهُ إِلَى وَلِيْمَةٍ ،
أَوْ يَدْعُو نَفْسَهُ هُوَ إِلَيْهَا دُونَ اسْتِئْذَانٍ ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَ النَّاسُ
حِيلَهُ وَالْأَعْيَبَ فِي التَّطَفُّلِ وَاقْتِحَامِ وَلَائِمِهِمْ ..

وَلِذَلِكَ قَرَّرَ أَشْعَبُ أَنْ يَتْرُكَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، وَيَسَافِرَ إِلَى



مَكَّةَ مَعَ صَدِيقٍ لَهُ مُتَطَفِّلٌ مِثْلَهُ ، عَسَى أَنْ يَجِدَا فِيهَا وَلَائِمَّ
عَامِرَةً لَدَى أَنَاسٍ لَا يَعْرِفُونَهُمَا .. وَإِلَيْكُمْ مَا حَدَّثَ ..

أَعَدَّ أَشْعَبُ وَرَفِيقَهُ الْعُدَّةَ لِلسَّفَرِ مَعَ قَافِلَةٍ مُتَّجِهَةٍ إِلَى مَكَّةَ ،
وَتَصَادَفَ أَنْ كَانَ مَوْعِدُ تَحَرُّكِ الْقَافِلَةِ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ ،
فَتَوَجَّهَ أَشْعَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ ، عَلَى أَنْ يَلْحَقَ
بِالْقَافِلَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَاوَلَ رَفِيقَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ يَرْحَلُ مَعَ الْقَافِلَةِ ،
عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ الظُّهْرَ فِي الطَّرِيقِ ، لَكِنْ أَشْعَبُ قَالَ لَهُ :

- يَا أَحْمَقُ يَجِبُ أَنْ نُصَلِّيَ وَنَدْعُو اللَّهَ ، فَيَرْزُقَنَا بِمُغْفَلَيْنِ
نَتَطَفَّلُ عَلَى وَلَائِمِهِمْ ..

فَلَمْ يُوَافِقْهُ صَدِيقُهُ ، وَظَلَّ كُلُّ مِنْهُمَا مُتَمَسِّكًا بِرَأْيِهِ .. وَفِي
النِّهَايَةِ رَحَلَ الصَّدِيقُ مَعَ الْقَافِلَةِ ، وَدَخَلَ أَشْعَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ
لِيُصَلِّيَ ، وَكَانَتْ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ قَدْ بَدَأَتْ ، وَوَجَدَ أَشْعَبُ أَنَّ
جَمِيعَ الصُّفُوفِ مُكْتَمِلَةٌ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَقِفَ وَحْدَهُ فِي صَفٍّ
خَلْفَ الصُّفُوفِ ، فَجَذَبَ أَحَدَ الْمُصَلِّينَ مِنَ الصَّفِّ الْأَخِيرِ ؛
لِيَقِفَ بِجَوَارِهِ فِي الصَّفِّ ، فَلَمَّا تَأَخَّرَ الرَّجُلُ وَوَقَفَ بِجَوَارِ
أَشْعَبَ ، رَأَى أَشْعَبُ مَكَانَ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ خَالِيًا ، فَتَقَدَّمَ
وَوَقَفَ مَكَانَهُ وَتَرَكَ الرَّجُلَ وَاقِفًا وَحْدَهُ ..

وَمِنْ سُوءِ حَظِّ أَشْعَبَ أَنْ كَانَ الْإِمَامُ رَجُلًا بَطِيئًا ثَقِيلَ الْحَرَكَةِ ،

فَقَرَأَ الْفَاتِحَةَ عَلَى مَهْلٍ ، وَأَطَالَ الْقِرَاءَةَ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ طَوِيلَةً مِنْ
سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِرِّهِ ، وَأَطَالَ فِي الْقِرَاءَةِ وَالتَّجْوِيدِ ، ثُمَّ
انْحَنَى لِلرُّكُوعِ ، وَأَطَالَ فِي التَّسْبِيحِ بِنَوْعٍ مِنَ الْخُشُوعِ لَمْ
يَعْهَدْهُ أَشْعَبُ مِنْ قَبْلُ .. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَنَهَضَ مِنَ الرُّكُوعِ ،
قَائِلًا : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، وَاسْتَمَرَ وَقِفًا حَتَّى ظَنَّ
أَشْعَبُ أَنَّهُ نَامَ فِي مَكَانِهِ ، وَأَنَّهُ لَنْ يَسْجُدَ أَبَدًا ، وَأَخِيرًا كَبَّرَ

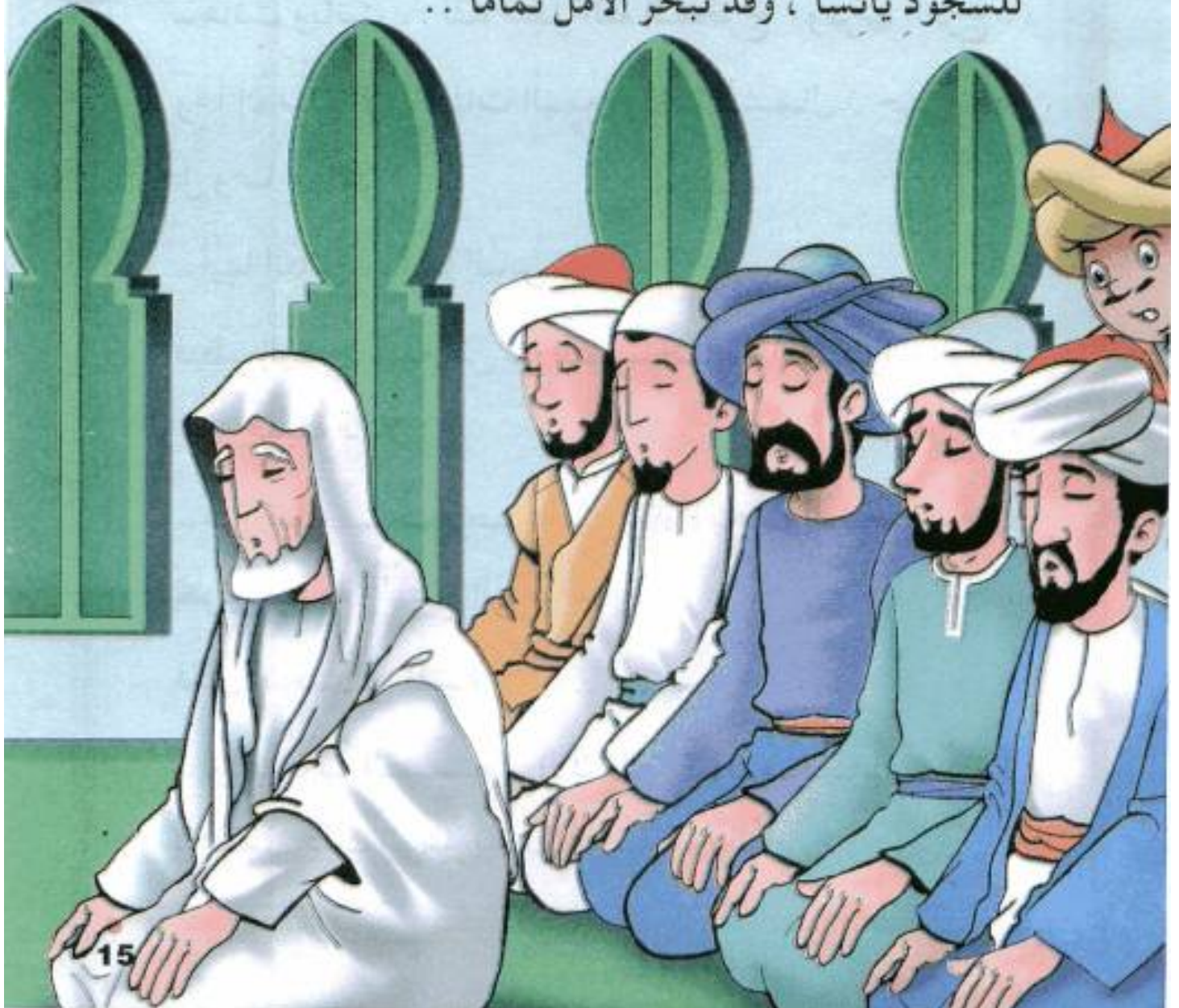


الإمام وسجد ، وأطال في سجوده بصورة لم يعهدها أشعب من قبل ..

كل ذلك وأشعب يتحرق على نار الصبر ، ويتقلب على جمر الغيظ ، لكنه تذكّر أنه في الصلاة ، فكظم غيظه في صدره ، وأذعن للخشوع ، وقد تملكه اليأس من اللحاق بالقافلة ، فهو لم يزل في الركعة الأولى ..



وَأَخَذَ يَلْعَنُ نَفْسَهُ ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ مَكَانَهُ فِي الصَّفِّ الْأَخِيرِ وَتَقَدَّمَ
إِلَى الْأَمَامِ ، فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ وَحْدَهُ الْآنَ خَلْفَ الصُّفُوفِ
لَتَمَكَّنَ مِنَ الْفِرَارِ دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ .. وَلَكِنَّ الْأَمَلَ عَاوَدَهُ فِي
أَثْنَاءِ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الرُّكْعَةِ الْأُولَى ، وَالَّتِي بَدَتْ لَهُ كَأَنَّهَا
دَهْرٌ طَوِيلٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ خَلْفَهُ ، فَوَجَدَ الصَّفَّ الَّذِي تَرَكَهُ
قَدْ تَكَامَلَ تَمَامًا ، وَلَيْسَ فِيهِ فُرْجَةٌ لِيَهْرُبَ مِنْهَا ، وَلِذَلِكَ عَادَ
لِلسُّجُودِ يَائِسًا ، وَقَدْ تَبَخَّرَ الْأَمَلُ تَمَامًا ..



وَأَخِيرًا كَبَّرَ الْإِمَامُ ، وَنَهَضَ وَأَقِفًا لِأَدَاءِ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ ..
وَمَا حَدَّثَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى حَدَّثَ أَطْوَلَ مِنْهُ فِي الرُّكْعَةِ
الثَّانِيَةِ ، وَكَأَنَّ الْإِمَامَ كَانَ يَتَعَمَّدُ إِغَاظَةَ أَشْعَبَ ، وَتَعْطِيلَهُ عَنِ
الْلِّحَاقِ بِالْقَافِلَةِ .. هَكَذَا ظَنَّ أَشْعَبُ فِي نَفْسِهِ ، لَكِنَّهُ احْتَمَلَ
بِصَبْرِ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ ، حَتَّى انْتَهَى الْإِمَامُ مِنْ إِتِمَامِ الرُّكْعَاتِ
الْأَرْبَعِ ، وَجَلَسَ لِقِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ ، فَقَالَ أَشْعَبُ فِي نَفْسِهِ :
- هَانَتْ وَبَانَتْ .. لَقَدْ سَهَّلَ اللَّهُ الْمَخْرَجَ ، وَقَرُبَ الْفَرَجُ ..
وَمَا إِنَّ سَلَّمَ الْإِمَامُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ، حَتَّى نَهَضَ
رَجُلٌ وَصَاحَ قَائِلًا :

- أَيُّهَا النَّاسُ .. أَيُّهَا النَّاسُ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ جَمِيعٌ مَنِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَنْصَتُوا ، وَوَأَصَلَ
الرَّجُلُ حَدِيثَهُ قَائِلًا :

- مَنْ كَانَ فِيكُمْ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَيُحِبُّ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ،
فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ وَلْيَصْغِ إِلَى سَاعَةٍ ..

فَقَالَ أَشْعَبُ فِي نَفْسِهِ :

- لَوْ غَادَرْتُ الْمَسْجِدَ الْآنَ فَلَنْ أَكُونَ مُحِبًّا لِلنَّبِيِّ ﷺ ،
وَسَيَّتِهِمُنِي ذَلِكَ الْوَعْدُ بِذَلِكَ عِلَانِيَةً أَمَامَ النَّاسِ ..

وَلِذَلِكَ لَمْ يَرِ أَشْعَبُ أَمَامَهُ إِلَّا أَنْ يَظْلَ جَالِسًا فِي مَكَانِهِ - كَمَا
فَعَلَ الْآخَرُونَ - وَوَأَصَلَ الرَّجُلُ حَدِيثَهُ قَائِلًا :

- أَيُّهَا النَّاسُ خَلِيقُ بِي الْأَأَقُولُ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا أَشْهَدُ إِلَّا
بِالصِّدْقِ .. لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، لَكِنِّي لَنْ أَقُولَهَا
لَكُمْ حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوَّةَ
النَّبِيِّ ﷺ ..

فَرَبَطَ هَذَا الْقَوْلُ أَشْعَبَ بِالْقِيُودِ ، وَشَدَّهُ بِالْحَبَالِ ، فَلَوْ أَنَّهُ
نَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ وَتَحَرَّكَ مُغَادِرًا الْمَسْجِدَ ، لَكَانَ ذَلِكَ النَّذْلَ



الَّذِي يَجْحَدُ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَنَالَهُ مِنْ أَذَى النَّاسِ مَا لَا تَحْمَدُ
عُقْبَاهُ عَلَى أَمْرٍ هُوَ مِنْهُ بَرَاءٌ ..

وَلِذَلِكَ بَقِيَ أَشْعَبُ سَاكِنًا فِي مَكَانِهِ ، وَهُوَ يَلْعَنُ نَفْسَهُ ؛
لَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نَصِيحَةِ صَدِيقِهِ .. أَمَّا الرَّجُلُ ، فَقَدْ اسْتَمَرَ
قَائِلًا :

- رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ .. وَقَدْ قَالَ ﷺ : « مَنْ رَأَى فِي
الْمَنَامِ ، فَقَدْ رَأَى حَقًّا ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي » وَقَدْ
عَلَّمَنِي ﷺ دُعَاءً ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَعْلَمَهُ لَكُمْ ..
فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ :

- عَلَّمَنَا هَذَا الدُّعَاءَ يَا أَخِي ..

فَأَظْهَرَ الرَّجُلُ رِزْمَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأُورَاقِ ، وَقَالَ :

- لَقَدْ كَتَبْتُ الدُّعَاءَ عَلَى هَذِهِ الْأُورَاقِ بِمَسْكٍ وَزَعْفَرَانٍ ،
فَمَنْ دَفَعَ لِي دِرْهَمَيْنِ ثَمَنًا لِلْوَرَقَةِ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا ..
وَلَمْ يَكِدِ الرَّجُلُ يَتِمُّ كَلَامَهُ ، حَتَّى انْهَالَتْ عَلَيْهِ الدِّرَاهِمُ مِنَ
الْحَاضِرِينَ فِي الْمَسْجِدِ ..

وَرَأَى أَشْعَبُ الدِّرَاهِمَ الْكَثِيرَةَ وَهِيَ تَنْهَالُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ ،
فَتَعَجَّبَ مِنْ حُنُكْتِهِ وَذِكَاثِهِ وَاحْتِيَالِهِ عَلَى النَّاسِ لِكَسْبِ رِزْقِهِ ،
وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ فَصَاحَتَهُ وَوَقَاحَتَهُ ، وَرَبَطَهُ النَّاسُ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ الْبَارِعَةِ ،

فَظَلَّ يَلْعَنُهُ فِي سِرِّهِ .. وَغَادَرَ الْمَسْجِدَ وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :
- كَانَ أَوْلَى بِنَا نَحْنُ الطُّفَيْلِيُّينَ أَنْ نَحْتَالَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلِ
لِكَسْبِ أَرْزَاقِنَا ، بَدَلًا مِنْ انْتِظَارِ الْوَلَائِمِ وَالْحَفَلَاتِ لِلتَّطَفُّلِ
عَلَيْهَا ..

وَبِالطَّبْعِ لَمْ يَلْحَقْ أَشْعَبُ بِالْقَافِلَةِ الْمُسَافِرَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَوَقَفَ
حَزِينًا مَهْمُومًا ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ ، وَلَا كَيْفَ يَتَصَرَّفُ
لِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَآزِقِ الَّذِي وَضَعَ نَفْسَهُ فِيهِ بِإِرَادَتِهِ ..



وَبَدَأَ أَشْعَبُ يَشْعُرُ بِالْجُوعِ فَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَلُ ، وَكَيْفَ
يَحْتَالُ لِلْعُثُورِ عَلَى طَعَامِهِ ..

وَبَيْنَمَا أَشْعَبُ وَاقِفٌ يَقْلِبُ الْأُمُورَ عَلَى وُجُوهِهَا ، رَأَى رَجُلًا
أَعْرَابِيًّا مِنْ أَعْرَابِ الصَّحْرَاءِ يَسُوقُ حِمَارَهُ أَمَامَهُ ، وَقَدْ
ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ أَمَارَاتُ السَّدَاجَةِ ، وَعَلَامَاتُ الْغَفْلَةِ ،
فَتَبَسَّمَ أَشْعَبُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- حَمْدًا لِلَّهِ .. ظَفَرْنَا بِصَيْدٍ سَمِينٍ ، وَضَمْنَا الْغَدَاءَ ..
وَتَقَدَّمَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ مُصَافِحًا وَمُعَانِقًا بِحَرَارَةٍ ، وَهُوَ يَصِيحُ
قَائِلًا :

- حَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ .. مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ .. وَأَيْنَ تَذْهَبُ ؟ !

هَلُمَّ مَعِيَ يَا أَخِي إِلَى بَيْتِي ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْأَعْرَابِيُّ مُتَعَجِّبًا ، وَقَالَ :

- لَسْتُ أَبَا زَيْدٍ ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ ..

فَقَالَ أَشْعَبُ مُتَصَنِّعًا التَّذَكُّرَ :

- نَعَمْ يَا أَخِي .. أَنْتَ أَبُو عُبَيْدٍ .. لَقَدْ تَذَكَّرْتُكَ .. كَيْفَ

حَالُكَ يَا أَخِي ، وَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ..

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي بَرَاءَةٍ :

- لَقَدْ مَاتَ أَبِي مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ..

فَصَاحَ أَشْعَبُ فِي حُزْنٍ :

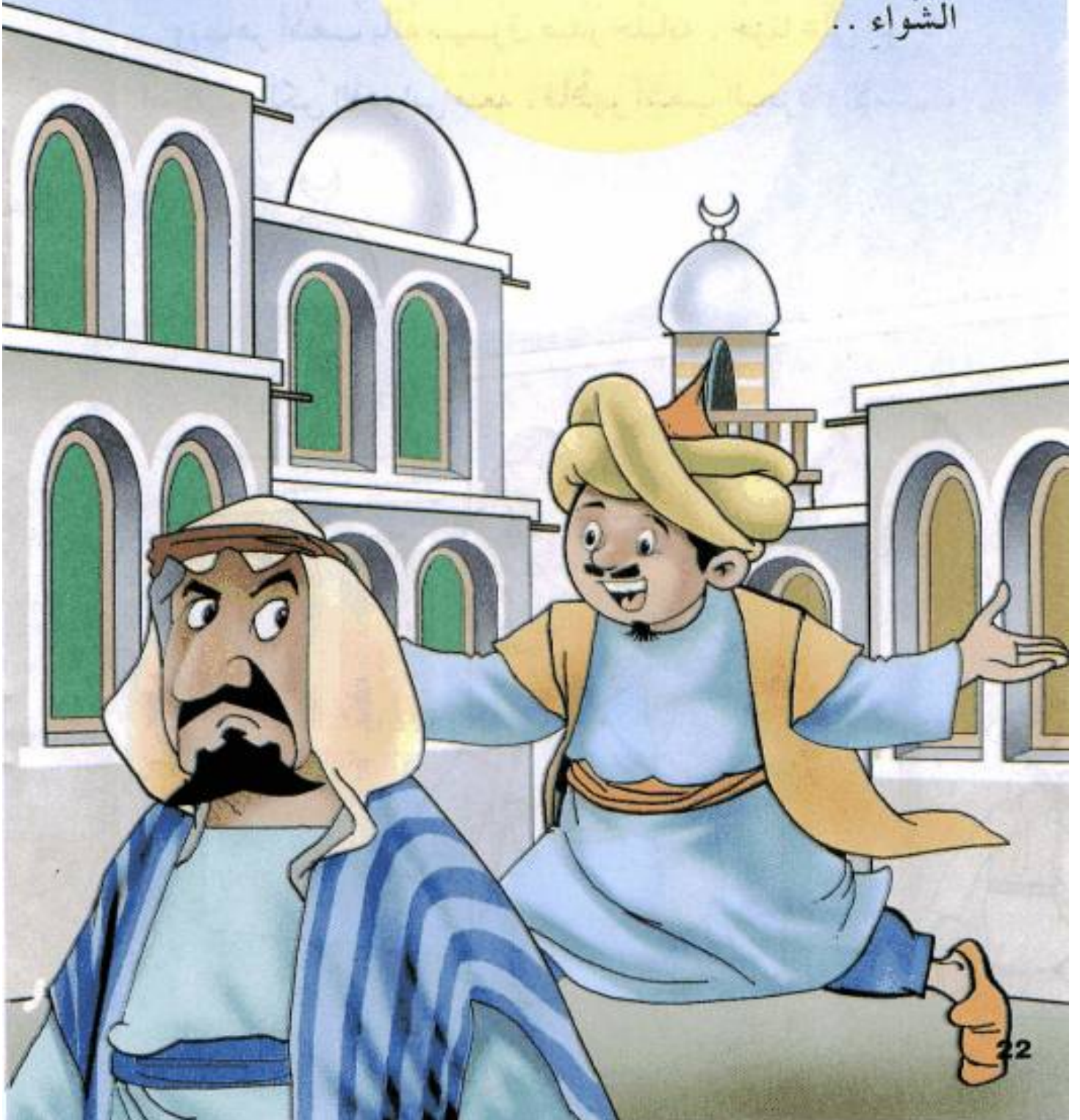
- لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ..

وَتَظَاهَرَ أَشْعَبُ بِأَنَّهُ سَيِّمَزِقُ صَدْرَ جِلْبَابِهِ ، حُزْنًا عَلَى الرَّاحِلِ
الْعَظِيمِ ، لَكِنِ الْأَعْرَابِيُّ مَنَعَهُ ، فَأَظْهَرَ أَشْعَبُ الْحُزْنَ وَالْأَسْفَ ،



وَجَذَبَ الْأَعْرَابِيَّ قَائِلًا :

— هَلُمَّ مَعِيَ يَا أَخِي إِلَى بَيْتِي لِنَتَنَاوَلَ الْغَدَاءَ مَعًا .. هُنَاكَ حَلٌّ
أَفْضَلُ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ تُحِبُّ طَعَامَ الْبَيْتِ ، فَتَعَالَ لِنَتَغَدَّى عِنْدَ بَائِعِ
الشَّوَاءِ ..



وَأَخَذَ أَشْعَبُ الْأَعْرَابِيَّ إِلَى مَطْعَمٍ ، حَيْثُ يُشْوَى اللَّحْمُ ،
وَرَائِحَةُ الشُّوَاءِ الشَّهِيَّةُ تَمَلَأُ الْمَكَانَ ، فَطَلَبَ لَحْمًا لَهُ
وَلِلْأَعْرَابِيَّ وَجَلَسَا يَأْكُلَانِ ، حَتَّى أَصِيبَ أَشْعَبُ بِالتُّخْمَةِ مِنْ
كَثْرَةِ مَا أَكَلَ مِنَ اللَّحْمِ ، وَقَالَ أَشْعَبُ فِي دَهَاءٍ :

— قَدْ طَعِمْنَا حَتَّى شَبِعْنَا ، وَمَا أَحْوَجُنَا إِلَى مَاءٍ مُثْلَجٍ حَتَّى
نُطْفِئَ نِيرَانَ هَذَا الطَّعَامِ الدَّسِيمِ ..

فَوَافَقَهُ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى رَأْيِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَشْعَبُ :



- اجلس يا أبا عبيد هنا ولا تبرح مكانك حتى آتيك بماء
مثلج .. وغادر أشعب المكان غير مُصدق بالنجاة ، تاركاً
الأعرابي المسكين ينتظر ، حتى مضى النهار ، فلما نفذ صبر
الأعرابي ، غادر المطعم ، ليركب حماره ، فأمسك به صاحب
المطعم قائلاً :

- أين ثمن الطعام ؟

فقال الأعرابي في براءة :

- لقد أكلت ضيفاً ..

فأنهال عليه صاحب المطعم ضرباً ولكماً ، ولم يتركه حتى
تقاضى منه ثمن اللحم .. فقال الأعرابي :

- لعن الله ذلك المحتال ، لقد قلت له أنا أبو عبيد ، وهو
مصر على أنني أبو زيد ..

(تَمَّتْ)